تفريغ محاضرة

أحكام وآداب الصيام

فضيلة الشيخ

فؤاد بن سعود العمري

حفظه الله

miraath.net

ميراث الأنبياء

Miraath.Net

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأَنبِيَاءِ أَن يُقَدِّمَ لَكُم تسْجِيلًا لمحاضرةٍ بعنوان:

أحكامُ وآدابُ الصِّيام

ألقاها

فضيلة الشيخ فؤاد بن سعودٍ العمري

-حفِظَه اللهُ تعَالَى-

يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهرِ شعبان، عام خمسةٍ وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ هجرية، بجامع الفاروق بمدينة جدة.

نسأَلُ اللهَ سُبحَانَهُ وَتعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَا الجَمِيع.

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، فمن يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ٢٠١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدى هدي محمّدٍ -صلى الله عليه وسلم -وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعدُ:

فالسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

حديثنا في هذه الليلةِ المباركةِ -بإذن الله-متعلقٌ بتلكمُ الشعيرة العظيمة، بتلكمُ العبادة الجليلة، متعلقٌ بالحديثُ عن رابعِ أركان هذا الدين الذي أنزل على نبينا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه -.

صيام رمضان، وما أدراك ما رمضان!

هذا الشهر المبارك نحن على مَقْرُبةٍ منه، ما هي إلا أيام ولياليٍ وندخل فيهِ، ومن عظيم منَّة الله – جلَّ وعلا – على المرء، ومن عظيمِ كرامة الله – تبارك وتعالى – على المرء أن يوفقهُ لبلوغ تلكمُ الأيام وأن يعينهُ على أن يقوم له بحقه فيها.

ما أعظم سعادة ذلكم الذي أدرك تلكم الأيام والليالي! ما أعظم سعادة ذلكم الذي قام لله – جلَّ وعلا – بحقِّه في تلكم الأيام والليالي!.

هذا الشهر المبارك فيه من الفضائل الشيء الكثير، وحسبك أن تعلم قبل ذلك أيها المسلم أن الله – جلَّ وعلا – فرض صيامهُ على كل مسلمٍ مكلَّفٍ قادرٍ غير عاجز، يقول ربنا– جلَّ وعلا –:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ٣٨١

جاءَ عن جمعٍ من أهل العلم، ورُوي فيه أثر عن ابن مسعودٍ لكنه لا يصح، إلا أن هذا الأمر يعد قاعدةً عند علماء التفسير: **" إذا جاء في القرآن هذا النداء فأرعهِ سمعك، فهو إما خيرٌ تؤمر به، وإما شر تنهى عنه"** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ البقرة: ٣٨١

ما أعظم هذا النداء!

ما أعظم هذا النداء أيها المؤمن يا من آمنت بالله ربًّا وبالإسلام دينا وبمحمدٍ– صلى الله عليه وسلم – نبيًّا رسولا!.

أيها المؤمن يا من آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، أيها المؤمن أرعها سمعك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ البقرة: ١٨٣، أي فرض، فرض عليكم الصِّيام، ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ البقرة: ١٨٣ أي أن هذا الصِّيام ما كان من حيث الجملة من خصائصِ أمةِ محمدٍ – عليه الصَّلاة والسَّلام –بل فرضه ربنا–جلَّ وعلا – على من قبلنا من الأمم، وفي هذا تسلية للمؤمن عند قيامه بهذه العبادة العظيمة.

اعلم يا عبد الله عندما تمسك لله – جلَّ وعلا – عن جميع المفطِّرات أن الله – جلَّ وعلا – قد أوجب هذا الأمر على من كان قبلك من تلكم الأمم، فلست وحيدًا في هذه التكاليف، ولست وحيدًا في هذه الطَّاعات، التي فيها نوعُ مشقة، إنما قد فرض هذا ربنا – جلَّ وعلا – على من قبلنا من الأمم.

نعم أمُة محمدٍ– عليه الصَّلاة والسَّلام–خصها الله –جلَّ وعلا – ببعض الخصائص في هذا الصِّيام، لكن من حيث الصِّيام فإن الله – جلَّ وعلا – فرضه على من كان قبلنا كما فرضه علينا.

ومن الخصائص التي اختُصَّت بها أمةُ محمدٍ – عليه الصَّلاة والسَّلام – وفارقت بها صيام من كان قبلنا أكلة السَّحر كما سوف يأتي معنا بإذن الله – جلَّ وعلا – يقول النبي – صلى الله

عليه وسلم – كما عند مسلمٍ في الصَّحيح: «فَضْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ».

فهذا الصِّيام فُرِض علينا كما فُرِض على من كان قبلنا، والغاية من هذه العبادة، والغاية من هذه الطاعة، والغاية من هذه القُربة الوصول إلى تقوى الله – جلَّ في علاه –.

ولو تأملت في جميع ما افترض ربنا – جلَّ وعلا –تجد أن الغاية والمراد الوصول إلى تقوى الله –جلَّ في علاه –.

أعظم أمرٍ أمر الله– جلَّ وعلا – به التَّوحيد، والغاية منه الوصول إلى تقوى الله – جلَّ وعلا– عندما تعبد الله – تبارك وتعالى – وتفرده بالعبادة تعلمُ أنه المعبود بحقٍّ، وأنه يجب عليك أن تمتثل أمره، وأن تبتعد عن نهيه، يجب عليك أن تقوم لله بحقِّه في أمره ونهيه – جلَّ وعلا – يقول ربنا –تبارك وتعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾البقرة: ٢١. انظر يا عبد الله أصغِ سمعك إلى هذا النداء العظيم، أولُ نداءٍ في كتاب الله – جلَّ وعلا –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ البقرة: ٢١. وهذا يدل على عظم أمر التوحيد.

فأوَّل نداءٍ في القرآن فيه أمرٌ بتوحيد رب العالمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ البقرة: ٢١

فالتقوى منزلةٌ عظيمة، وغاية شريفة جليلة، يشمِّر المرء الذي يبتغي رحمة الله – جلَّ وعلا – الذي يبتغي عظيم رضوانه يشمِّر عن ساعد الجد، ويجد ويجتهد ويبذل الغالي والنفيس حتى

يتطلب مرضات رب العالمين، حتى يفعل ما يحبه ربُّه – جلَّ وعلا –ويترك ما يبغضه ربه – تبارك وتعالى –، بهذا يكون من عباده المتقين.

فالمتقون هم أهلُ ولايةِ الله–جلَّ وعلا–هم أهلُ كرامة الله – جلَّ في علاه – قال أبو العباس: "أعظم الكرامة لزوم الاستقامة".

إذا ما استقمت يا عبد الله على طاعة الله، إذا ما استقمت أيها المسلم على دينِ الله فأتيت بما أمر بهِ ربُّ العِزةِ والجلال، وابتعدت عمّا نهى عنهُ ربُّ العزةِ والجلال، فأنت للهِ وليٌّ، وهي أعظم كرامة من ربِّ العزةِ والجلال لك أيها الموفَّق، لك أيها المسلم الذي امتثلت أوامر الله – جلَّ وعلا – وابتعدت عن نواهي اللهِ – تباركَ وتعالى–.

هذهِ الآية في سورةِ البقرة، التي افتتح بها ربنا–جلَّ وعلا–آيات الصِّيام بيَّنت الغاية من هذا الصِّيام، فليس للهِ حاجة في أن يدعَ المسلمُ طعامهُ وشرابه، ثُمّ بعد ذلك يفعل ما حرم الله، ويفعل ما يغضب الله – جلَّ وعلا –، من فعل الجهل وقام بالجهلِ، فليس للهِ حاجة أن يدع طعامهُ وشرابه.

الله–جلَّ وعلا– غنيٌّ عنك يا عبد الله، غنيٌّ الغنى المطلق– تباركَ وتعالى– نحنُ الفقراء إلى الله – جل في علاه– نحن الذين في حاجةٍ إلى رحمةِ الله، وإلى عظيمِ فضله، وإلى عظيمِ كرمه – تباركَ وتعالى–.

إذًا، الغايةُ العظيمة، والحكمةُ الجليلة من هذا الصِّيام أن نصلَ إلى تقوى الله – جل وعلا–.

فعلى المسلم أن يضع هذا نصب عينيه، منذُ أن يدخل عليهِ شهرُ رمضان، وأن يسعى في تحقيقِ هذا الأمر، وأن يبذُل غاية وُسْعه، وأن يبذل غاية جُهده، في الوصولِ إلى هذهِ المنزلةِ العظيمة.

الصِّيام في اللُّغة: الإمساك.

وفي الشرع: التَّعبدُ لله بالإمساكِ عن جميع المفطِّرات، من طلوع الفجر الصادق إلى غروبِ الشمس.

إذًا، المسألةُ عبادة، والقضيةُ طاعة، وقربة، التعبد لله، تَعبدُ الله–جلَّ وعلا – بهذهِ العبادة، ما تريد بها أحدًا من الخلق، شأنها شأنُ سائر العِبادات، التعبدُ لله بالإمساكِ عن جميعِ المفطِّرات.

والمفطرات أصولها ثلاثة، على ما سوف يأتي معنا بإذن الله–جلَّ وعلا–على جهةِ البسطِ والبيان، بحسبِ ما يقتضيهِ المقام.

هذهِ الثلاث ذكرها ربنا–جلَّ وعلا – في كتابه، عندما قال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ البقرة: ١٨٧. هنا ذكر ربنا–جلَّ وعلا–أصول المفطرات.

أصول المفطرات ثلاثة: الأكلُ، والشربُ، والجِماع.

فهذهِ الثَّلاث التي ذكرها ربنا – جلَّ وعلا – في كتابه هي أصول المفطِّرات، أصول المفطِّرات ثلاثة.

فأنت مأمورٌ يا عبد الله أن تتعبد للهِ–جلَّ وعلا–بالإمساكِ عن جميع المفطِّرات من طلوع الفجر الصادق.

الفجر فجران:

- فجرٌ كاذب،
- وفجرٌ صادق.

الفجر الذي تعلقت بهِ الأحكام الشرعية هو الفجر الصادق، لا عِبرةَ بالذي قبله، ذلكُم البياض الذي يظهر، ثم سُرعان ما يذهب ويتلاشى هذا الضَّوء لا عبرة به.

هذا الضوء لا عبرة به، إنما العبرة بذلكم الضَّوء الذي ما أن يظهر إلا وتجدهُ يزدادُ ظهورًا وانتشارًا، حتى تطلعَ الشمس.

فالفجر فجران: فجرٌ كاذب، وفجرٌ صادق.

المُعوَّلُ على الفجر الصادق، ولأجل هذا النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «لَا يَغُرَّنَّكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ»، بلالٌ كان يؤَذِّن بليل، ما كان الفجرُ الصادقُ قد طلع، إنما ابنُ أم مكتوم

هو الذي كان يؤذِّن عند طلوع الفجر الصادق، ولأجل هذا كان -رضي الله عنه-رجلًا ضريرًا فإذا قيل له: «أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ» أي أن الصبح قد دخل يطلع وينادي بالأذان، وهو الذي تتعلقُ به الأحكام الشرعية من الإمساكِ وغير ذلك.

إذًا الصِّيام هذا معناه في اللغة وفي الشرع.

وصيام شهر رمضان ما كان مفروضًا في أول الأمر، إنما المفروضُ كان صيام يوم عاشوراء، كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وأما شهر رمضان فكان المرء فيه مخيَّرًا بين الصِّيام والفطر مع القدرة على الصِّيام، شريطة أن يقوم بالإطعام يقول ربنا -جلَّ وعلا-: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ البقرة: ٤٨١.

هذه الآيات تبينُ أن الأمر كان في أولهِ على التَّخيير، حتى في حق القادر والمستطيع، إذا أراد أن يصوم فليصُم وهو خير بلا شك ولا ريب، ومن أراد الفطر ولو كان قادرًا ولو كان صحيحًا مقيمًا فله الفطر، وله أن يطعم مكان كل يومٍ مسكينًا، ثم بعد ذلك نُسخ هذا الحكم بقوله -جلَّ وعلا-: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ البقرة: ٥٨١، قال: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ ﴾ البقرة: ٥٨١ قال أهل العلم في قوله -جل وعلا-: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ ﴾ البقرة: ٥٨١

"هذا ناسخٌ للحكم الذي كان قبل ذلك-ألا وهو التَّخيير-فمن شهد الشهر فيجب عليه أن يتقرب إلى الله - جل وعلا- بصيام هذا الشهر".

ثم قال ربنا -جلَّ وعلا-: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ البقرة: ١٨٥

يقول العلماء: "أعاد هذا الحكم تأكيدًا له لئلَّا يظن الظَّان أنه من جملة ما نُسخ".

هذا الحكم لم يُنسخ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ البقرة: ١٨٥، هذا المريض على ما سوف يأتي معنا بإذن الله- جلَّ وعلا- له أحكام سنذكرها بإذن الله ـ تبارك وتعالى- .

فهذا المريضُ وهذا المسافرُ، حكمهما لم يُنسخ، ولأجل هذا أعاد ربنا-جلَّ وعلا-ذكر هذا لئلَّا يظن الظَّان أنهما كان قبل ذلك أنه منسوخٌ كله.

إذًا المنسوخ هو التَّخيير، أما هذهِ الرُّخصة من رب -العزة والجلال - في حق المريض والمسافر فهي باقية على تفصيلٍ في المريض سنذكره بإذن الله - تبارك وتعالى -.

فرض الصِّيام صيام شهر رمضان في السنة الثانية من هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم - وقد صام النبي - صلى الله عليه وسلم - بإجماع أهل العلم صام تسع رمضانات، بإجماع العلماء النبي - صلى الله عليه وسلم - صام تسع رمضانات،وصيام شهر رمضان ركن من أركان هذا الدين كما جاءت بذلك الأدلة من ذلك ما جاء في قوله -جلَّ وعلا-: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ

﴿ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ البقرة: ٣٨١

وفي تتمة الآيات التي بعدها عند قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ البقرة: ٥٨١

ويدل على أنه أحد أركان هذا الدين حديث ابن عمر-رضي الله عنه-وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ بُيْتِ الله الحَرَام»

هذا الدين الذي أنزل على نبينا الكريم، هذا الإسلام الذي أوحي إلى نبينا -عليه الصلاة والسلام- بني على هذه الأركان الخمسة على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وعلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعلى صوم رمضان وعلى حج بيت الله الحرام.

فالناصح لنفسه العامل على نجاحها الذي يريد النجاة بين يدي ربه-تبارك وتعالى-يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، من أراد تلكم الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والثواب العظيم الجزيل، عليه المحافظة على أركان هذا الدين عليه بالمحافظة على أركان الإسلام.

صومُ رمضان فرضٌ وهو ركن من أركان الدين، من ترك الصِّيام جحودًا ولم يكن جاهلًا فهو كافر بإجماع أهل العلم.

وقولنا جاهل لأنه قد يكون حديث عهد بالإسلام لا يدري ما فرائض الدين، وما أركان

الإسلام فإذا حصل منه هذا الإنكار يُعلَّم أن هذا الدين بني على أركان خمس فإن بقي على جحوده فهو كافر بإجماع أهل العلم.

وأما تارك الصِّيام تهاونًا وكسلًا فهو محل خلافٍ بين العلماء على قولين مشهورين، الجمهور على أنه لا يكفر، لكنه واقع في ذنبٍ عظيم وَجُرمٍ كبير، وهو متوعَّد بوعيد شديد؛ لأنه ما أطاع ربه -جلَّ وعلا -.

وذهب فريق آخر من أهل العلم وهي رواية عن الإمام أحمد إلى أنه كافر، من ترك الصِّيام تهاونا وكسلًا فهو كافر-والعياذ بالله-.

فمن ذلك الذي يرضى لنفسه أن يكون في منزلةٍ بين فريقين من أهل العلم، فريقٌ يحكمُ بكفرهِ وردَّته، وفريقٌ آخر يقول إنه على ذنبٍ أعظم من ارتكابِ المحرَّمات كالزِّنا والسَّرقةِ؟.

ونحو ذلك، مَنْ ذلك الرجل؟ مَنْ ذلك المرء الذي يرضى لنفسه أن يكون في هذا الموقف؟

فالعاقل يُحاسِب نفسه قبل أن يُحاسَب، العاقل يعلم أن أجله قريب، وأن العمر قصير، وأن ما كتبه الله -جلّ وعلا-على كل نفسٍ سيأتيه، وعند ذلك ينقطعُ العمل، ولا يجدُ إلا ما قدّم إن كان خيرًا فخيرا، وإن كان شرًا فشرا.

كم من أُناسٍ كانوا معنا في السنة الماضية بل كانوا معنا قبل أيام وليال وإذ بهم الآن في قبورهم، فالموت لا يعرفُ كبيرًا ولا صغيرا، ولا يعرفُ ذكرًا ولا أنثى، ولا يعرفُ غنيًا ولا فقيرا، الموتُ يأتي بغتة.

وما لك يا عبد الله بعد ذلك إلا ما قدمته، إن خيرًا فخيرا، وإن شرًا فشرا، الجنَّة التي أعدَّها الله –جلّ وعلا–وجعل فيها ذلكم النعيم المقيم إنما يدخلها المرء بعد رحمة الله –جلّ وعلا–بالعمل ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ النحل: ٣٢.

قال العلماء: **"الباء هنا باء السبب لا باء الجزاء، فالأعمال الصالحة لها مكانٌ في الدين وهي من الإيمان".**

فيحرص المرء على أن يغتنم أيام عمره، وأن يغتنم هذه السَّاعات، وأن يغتنم حال الصِّحة، وأن يغتنم حال القوَّة، فإذا مدّ الله–جلّ وعلا–في عمر الواحد ستنقلب هذه القوَّة إلى ضعف، وسيأتي بعد الصِّحة المرض؛ لأن هذا أمرٌ كتبه الله–جلّ وعلا–ولأجلِ هذا جاء في الحديث عند التِّرمذي وغيره: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: وفيها: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ» جاء في الحديث في الصحيح: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ».

فاحرص يا عبد الله على القيام لله بحقِّه فيما افترضه عليك، وأعظم ذلك أركان هذا الدين، أركانُ الإسلام، ليست بالأمر السهل، وليست بالأمر الهيّن إنما تحتاجُ إلى معونةٌ من الله –جلّ وعلا–.

ولأجل هذا انظر إلى حال نبيك –عليه الصَّلاة والسَّلام–وما كان عليه من العبادة والقربة والطاعة كان يدعو ربه –جلّ وعلا–: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» يسأل العون من ربنا –جلّ وعلا–يطلب العون من الله –تبارك وتعالى–أن يُعينه على ماذا؟ على أن يسعى في تطلُّب رزقه ورزق ولده؟! أم على القيام بطاعة ربه ومولاه؟

«اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» ما أحوجنا إلى هذا الدُّعاء العظيم الذي هو من جوامع الأدعية!.

إذًا من ترك الصيام تهاونًا وكسلا فهو على خطرٍ عظيم عند جماهير أهل العلم، ويُخشى عليه أن يُختم عليه بخاتمة السوء –والعياذ بالله–ويكون من الخاسرين.

الصِّيام دلّت الأدلة الكثيرة على فضله من حيث الجملة، وصيام شهر رمضان كذلك دلّت الأدلة الكثيرة على فضله، وانظر إلى عظيم فضل الله –جلّ وعلا–وكبيرِ منته، يفترضُ عليك الفرائض ثم يذكرُ لك تلكُم الفضائل لمن قام بهذهِ الفرائض.

مع أن الأمر لو لم يكن فيه إلا طاعةُ ربِّ العالمين، ولزومُ أمرهِ –جلَّ وعلا–لكان كافيًا في أن يقوم المرءُ بهذا الأمر الذي افتُرِض عليه.

ومع هذا يُرغِّبك ربك-جلّ وعلا-بهذهِ العبادات، فيوحي إلى نبيه -عليه الصلاة والسلام-بهذه الفضائل العظيمة، وهذهِ الحسنات الكثيرة.

وانظُر إلى عظيم فضل الله-جَلَّ وعلا-وكبيرِ مِنته، يفتَرِضُ عليكَ الفرائِض ثُمَّ يذكُرُ لكَ تلكُم الفضائِل لمن قامَ بهذه الفرائِض، مع أنَّ الأمرَ لو لم يَكُن فيه إلا طاعةُ ربّ العالمين ولزومُ أمره- جَلَّ وعلا- لكانَ كافيًا لأن يقومُ المرءُ بهذا الأمرُ الذي افتُرِضَ عليه، ومع هذا يُرغِّبُكَ ربُكَ – جَلَّ وعلا- في هذه العبادات، فيُوحي إلى نبيهِ -عليه الصلاة والسلام- بهذه الفضائل العظيمة وهذه الحسنات الكثيرة.

من ذلك ما جاءَ في الصحيحين من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين- قَالَ : قَالَ - عليهِ الصلاة والسلام-: « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » انظُر يا عبدالله،« مَنْ» هنا شرطيّة « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ» بشرط أن يكونَ صيامهُ إيمانًا قد آمَنَ بِفرضهِ، وأنَّ الله- جَلَّ وعلا-أوجَبه، وأنَّ اللهَ-تباركَ وتعالى-كَتَبَهُ على عِبادِه

«وَاحْتِسَابًا » للأجرِ من الله - جَلَّ وعلا- لا يُريد بهذا الصيام شيئًا من حُطامِ الدنيا الزائِل، وإنما يُريدُ ما عند الله- جَلَّ في عُلاه-« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » جاءت رواية عند النَسائي، وحَسَّنها بعضُ أهل العِلم لكنَّ فيها كلام، ألا وهي -« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَر» وهذه الزيادة فيها نَظَر من حيثُ الثبوت، إلا أنَّ فضلَ الله- جَلَّ وعلا- عظيم وثوابهُ جزيل - جلَّ وعلا-.

من الفضائِلِ الوارِدةِ في صيامِ شهرِ رمضان، قولهُ- عليه الصلاة والسَلام-في حديثِ أبي هُريرةَ كذلك:«الصّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ» رواهُ مُسلِم، ما أعظمُ فضلَ الله- جَلَّ وعلا-!.

كذلك مما جاءَ في فضائِل الصيام، ما جاء عند ابن خُزيمةَ وابنِ حِبَّان من حديثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ - رضي الله عنه- قالَ: جاءَ رجلٌ إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- قَالَ «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أرأيت إن شَهِدْت أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ الله" انظُر، وَصَلَّيْت الْخَمْسَ، وَأَدَّيْت الزَكَاةَ ، وَصُمْت رَمَضَانَ، فَمِمن أنا؟ قَالَ-عليهِ الصلاة والسلام-: منَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» أنتَ منَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، انظُر إلى عِظَمِ هاتين المنزلَتين وعلوّ أمرهما وكبرِ فضلِهما، كيفَ تكونُ يا عبد الله من الصديقينَ والشُهداء؟ تأتي بما جاءَ في هذا الحديث، تأتي بالشهادتين وتُحققهما تحقيقًا على مُقتَضى هَدي النبي-صلى الله عليه وسلم-وتُصلي الصلوات الخَمس، وتُحافِظُ عليها، وتُؤدي الزكاةَ المفروضة، وتصوم شهر رمضان فأنتَ حينَ ذاك «منَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»

كذلك مما جاءَ في فضلِ صيامِ شهرِ رمضان ما جاء عند ابنِ ماجّه وغيره من حديثِ طلحة بن عُبيدِ الله- رضي الله عنه وعن الصحابةِ أجمعين- أحد العشرة المُبَشرين بالجنة طلحة- رضي الله عنه- كانَ نائمًا فرأى في منامِهِ رؤيا، هذه الرؤية مُتعلقةٌ برجلينِ اثنين، هذان الرُجلان أسلما جميعًا، وصحِبا النبي-صلى الله عليه وسلم-وكانَ أحدهما أشدَّ اجتهادًا من الآخر، هذا المُجتَهِد لما نُودي لِجهاد، خَرَجَ مُجاهِدًا في سبيلِ الله- جَلَّ وَعلا- فماتَ وهذه حالهُ، قُتِل-رضي

اللهُ عنهُ- وهذا أَمرُه، صاحِبُهُ الذي دَخَلَ معهُ سويًّا في الإسلام مَكَثَ بعدهُ سنة، ثُمَّ ماتَ، طلحةُ- رضي اللهُ عنهَ- وهو في هذا المنام رأى رؤيا، رأى أنهُ على بابِ الجَنَّة ومعهُ هذان الرجُلان، فخرَجَ خارجٌ منها فأذِنَ للذي تُوفِّي بعدَ صاحِبِهِ في دخولها، ثُمَّ مَكَثَ فَترةً، فَخَرَجَ مرةً أُخرى فأذِنَ لهذا الذي قُتِل في سبيل الله وكانَ أشدَّ اجتهادًا من صاحِبِه في العبادة، فأذِنَ لهُ في دخول الجنَّة، ثُمَّ خَرَجَ مرةً ثالِثة فقال لهُ بَعدُ! أي إنهُ لم يأتِ دورك، طلحةُ أحدُ العشرة المُبشرين بالجنَّة إلا أنهُ آنذاك ما كانَ قد مات، الموتةَ الكُبرى، وإنما كانَ نائِمًا وهي الموتةُ الصُغرى، لما استَيقَظَ-رضي اللهُ عنه-حَدَّثَ بهذه الرؤيا، تَسَامَعَ بها الصحابةُ الكرام، تَعَجَّبوا منها بلغَت النبي-صلى اللهُ عليهِ وسلم-فقالَ لهم لما قَصَّوا عليهِ هذه الرؤيا، قالَ لهم مم تَعجبون؟ قالوا له يا رسول الله كُنا نَظُنُ أنَّ ذاكَ المُجتَهِد الذي قُتِلَ في سبيلِ الله يدخُل الجنةَ قبل صاحِبِهِ، قالَ: ألم يَمكُث بعدهُ سنة؟ ألم يَصُم رمضان؟ ألم يُصلي لله كذا وكذا؟ قالوا: بلى، قال: إنَّ بينَهُما أبعَد مما بينَ السماءِ والأرض! انظُر يا عبد الله إلى عظيمِ فضلِ الله-جلَّ وعلا-وإلى كبيرِ منة الله -تبارك وتعالى-لِمَن أَدرَكَ شهرَ رمضان وقامَ لله بحقّهِ فيه.

ولأجل هذا في المقابل ما أعظم حسرة من دخل عليه رمضان وخرج ولم يُغفر له! جاء في الحديث: «أنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام-دخل المسجد ذات يوم فقال لأصحابه: احضروا المنبر أي تقاربوا من المنبر، رقى الدرجة الأولى قال: آمين، رقى الدرجة الثانية قال: آمين، رقى الدرجة الثالثة قال: آمين ثم نزل، تعجب الصحابة رضوان الله عليهم، فأخبرهم النبيُّ صلى الله

عليه وسلم بخبر هذا الأمر قال: إنَّ جبريل عرض لي فقال: يا محمد بعُد من أدرك والديه أو أحدهما ولم يدخلاه الجنة. قل آمين. قال: قلتُ آمين».

انظر هنا من الدَّاعي؟

جبريل الرَّسول الملكي، ومن المُؤَمِّن؟

محمد -عليه الصَّلاة والسَّلام -الرسول البشري،

«ثم لما رقيتُ الدرجة الثانية قال: يا محمد بعُد من أدرك رمضان وخرج ولم يُغفر له قل آمين، قال: قلتُ آمين » «وَمَنْ ذُكِرْتَ عَنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، و مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِين».

ما أشد خسارة هذا! من يأتيه هذا الشهر، شهر الخيرات شهر المكرمات شهر القُرُبات، شهرٌ تُصفدُ فيهِ مردة الشياطين، شهرٌ تُفتح فيه أبواب الجنان كلها، ولا يبقى منها باب إلا وفُتح وتوصدُ فيه أبوابُ النيران كلها ما يبقى منها باب إلا وأوصد.

الجنَّةُ ثمانية أبواب مشرعة، والنَّارُ سبعةُ أبواب موصدة، ولله-جلَّ وعلا - عُتقاء من النار كلّ ليلة، ما أعظم خسارة هذا الرجل! الذي يأتيه رمضان، وهو في عافيةٍ وصحة ويخرج رمضان ولم يُغفر له، ما أشد خسارته! وما أعظم غُبنه!

«ثم قال: وَمَنْ ذُكِرْتَ عَنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ،» اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد.

كذلك من فضائل هذا الشهر ما جاء عن النبيِّ -عليه الصَّلاة والسَّلام-من حديث أبي هريرة عند أحمد وغيره وقد ذكرنا شيئًا منه في ثنايا هذا الحديث المتأخر، قال -عليه الصَّلاة والسَّلام -لأصحابه: «أتاكُم رَمضانُ» يُبشرهم بالخير، يُبشرهم بقدوم هذا الشهر المبارك «أتاكُم رَمضانُ شَهرٌ مبارَك، فرَضَ اللهُ-عزَّ وجَلَّ-عليكُم صيامَه، تُفَتَّحُ فيهِ أبوابُ السَّماءِ، وتغَلَّقُ فيهِ أبوابُ الجحيمِ، وتُغَلُّ فيهِ مَرَدَةُ الشَّياطينِ، للهِ فيهِ ليلةٌ خيرٌ من أَلفِ شَهرٍ، مَن حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ» إي وربي، من حُرم خيرها فقد حرم،

وجاء كذلك عند أحمد وغيره من حديث عرفجة -رضي الله عنه-قال: «عُدْنَا عُتْبَةَ بْنَ فَرْقَدٍ فَتَذَاكَرْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ»، انظر إلى ما كانوا يعمرون به مجالسهم أولئكم الأخيار، انظر إلى حديث مجالسهم يتذاكرون ما يُقربهم إلى الله -جلَّ وعلا-، يتذاكرون ما يُثقِّل موازينهم ويُكثِّر صحيفة حسناتهم، يقول: «فَتَذَاكَرْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: شَهْرَ رَمَضَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ».

يا باغي الخير أقبل على طاعة ربك، أقبل على الدخول في رحمة ربك -جلَّ وعلا- ويا باغي الشر، يا من تريد الشر أقصِر أمسك، أمسك هذه النفس وروضها على الطاعة وألجمها عن الدخول في المعصية أبعدها عن مساخط الله-جلَّ وعلا- وعن مواقع غضبه -تبارك وتعالى-.

هذا شيءٌ مما جاء في فضائل صيام شهر رمضان، والمرءُ الذي يرجو النَّجاة ويرجو رحمة الله ويرجو عظيم فضله -تبارك وتعالى- يستغل أيامه ولياليه خاصةً في الأيام الفاضلة، والأزمنة المباركة يجدُّ فيها ويجتهد حتى ينال عظيم ثواب ربه-تبارك وتعالى- وعظيم عطايا ربه -جلَّ وعلا- .

من الأحكام المتعلقة بصيام شهر رمضان، متى يجب صوم شهر رمضان؟

صحَّ عنه -عليه الصَّلاة والسَّلام -في حديث ابن عمر في الصحيح أنه قال:«صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ».

واختلف العلماء في قوله -عليه الصَّلاة والسَّلام -: «فَاقْدُرُوا لَهُ» هل المراد بهذه اللفظة التَّضييق فيكون المعنى أننا نصوم إذا ما أتممنا شعبان تسعةً وعشرين يومًا ولم نرَ الهلال، وهذا المعنى أي التَّضييق أخذوه من قوله -جلَّ وعلا-: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ ق:٧ قالوا: هنا المرادُ ومن ضُيق.

وذهب فريقٌ آخر وهم الجمهور من أهل العلم إلى أنَّ المراد في قوله: «فَاقْدُرُوا لَهُ» أي أتموا عدَّة شعبان ثلاثين، ويدُلُّ لهذا الرواية الأخرى في حديث ابن عمر وكذلك في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-وفيهما التصريح بإتمام عدَّة شعبان ثلاثين يومًا.

من هذا الحديث أخذ العلماء أنَّ صيام شهر رمضان إنما يجبُ إذا رأينا الهلال أو إذا لم يكن ثَمَّة رؤيا فإننا نكمل شعبان ثلاثين يومًا.

والمعتبَر في الدخول والخروج عند أهل العلم في جملة الشهور رؤية اثنين عدلَين، وأما شهر رمضان ودخوله فقد حصل فيه الخلاف بين العلماء على قولين اثنين: منهم من ذهب إلى اشتراط رؤية اثنين عدلين، وذهب الحنابلة وجماعات من أهل العلم إلى أنَّ دخول الشهر أي شهر رمضان يُكتفى فيه برؤية عدلٍ واحدٍ فقط خلافًا للخروج الذي لابد فيه من رؤية عدلين بإجماع أهل العلم.

واستدلوا بحديث ابن عمر عند أبي داود وغيره قال -رضي الله عنه-: «تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ، فَأَخْبَرْت النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ».

قالوا: النبيُّ -عليه الصَّلاة والسَّلام -هنا أخذ بشهادة ابن عمر وهو واحد في دخول الشهر فوجب المصيرُ إليه، وهو الحق.

أما عند وجود الغيم أي أننا إذا أتممنا تسعةً وعشرين يومًا من شهر شعبان ثم غُمَّ علينا فلا ندري، ذهب بعضُ أهل العلم إلى صيام ذلك اليوم وهذا هو يوم الشك وهو الذي يمنعُ من

رؤية الهلال غيمٌ أو قتر، بمعنى أنَّ يوم الشك ما تكون تلكم الليلة فيها السماءُ صافية هذا ليس بأمرٍ مُشكل في أننا نُتمّ عدَّة شعبان ثلاثين.

لكنَّ المسألة مفروضة عندهم في الليلة التي يحول دون رؤية الهلال غيمٌ أو قتَر، غُبار ونحو ذلك، ذهب بعضُ العلماء إلى صيام هذا اليوم، بل حكى بعضهم استحباب الصِّيام ونسبوه إلى الإمام أحمد-رحمه الله- وهذا لا يصحُّ، نعم قال به بعض المتأخرين لكنَّ أحمد -رحمه الله – ما قال يومًا باستحبابه، ما ذهب يومًا –رحمه الله-إلى استحبابه، والذي تدلُّ عليه الأدلة حُرمة صوم هذا اليوم ويدُلُّ لذلك ما جاء عن عمَّار بن ياسر عند الترمذي وغيره، قال: «مَنْ صَامَ اَلْيَوْمَ اَلَّذِي شُكَّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا اَلْقَاسِمِ»-عليه الصَّلاة والسَّلام -.

من عظيم منَّة الله -جلَّ وعلا-أنه علَّق الأمر، أعني الصِّيام بأمرٍ يُدركه أكثر العُقلاء من المكلفين، ولعل الذي لا يستطيعُ إدراكه قلَّةٌ قليلة لو نظرت إلى عددهم في أمة الإسلام لا تجدهم العدد الكبير والكثير، أعني من كتَب الله -جلَّ وعلا-عليه فُقدان بصره.

انظر إلى سماحة هذه الشريعة وإلى محاسن هذه الملَّة، ما أحالت الناس على أمرٍ لا يُحسنه إلا أقلَّ القليل وإنما جعلته ميسورًا لكل أحد من العُقلاء ممن يُبصر، مضى معنا في حديث ابن عمر وحديث أبي هريرة: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ: فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ» جاء في الحديث الآخر في السُّنن «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَحْسُبُ وَلَا نَكْتُبُ وَالشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، وَعَقَدَ الْإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ وَالشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا تَمَامَ الثَّلَاثِينَ».

« وهكذا وهكذا وهكذا تسعٍ وعشرين » هكذا يقول النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-فما يُرَوِّجُ له بعضهم الآن من الأخذ بالحساب والاعتماد عليه هذا يُعدُّ داخلًا في أبواب الضَّلالات والـمُحدثات وممن يُريد إلحاق المشقة بأهل الإسلام، ومع الأسف بعضهم ممن انبهر بما عليه الغرب الكافر يعقد المقارنة بيننا وبين أولئك ويقول لو نظرت في أعيادهم تعرفُ عيدهم وبعد عشرات السنين أي تحديده، أما نحن فأمرُنا في كل سنةٍ مختلف.

وما هذا القول إلا من انعدام أو ضعف البصيرة عند هذا القائل وأنه ما عرف سماحة هذا الدين وما عرف محاسن هذه الرسالة وما عرف كمال هذه الشريعة وأنها جاءت صالحة مُصلحة لكل زمانٍ ومكان، ما أيسرها على كل عاقلٍ ذي بصر «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ » قد يكون هناك إشكال، قد يكون هناك غيم قد يكون هناك قتر انظر إلى سماحة هذه الملة «فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ :فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ».

انظر، قد يحول بينك وبين رؤية الهلال هذا الغيم وهذا القتر، وقد يكون حقيقةً الهلال قد خرج لكن حال بينك وبين الرؤية ماذا؟

الغيم والقتر، ماذا تفعل؟ بيَّنت لك هذه الشريعة السمحة ماذا تصنع؟، تُكمل عدَّة شعبان ثلاثين ولو قُدر بعد ذلك أنك صُمت ثمانيةً وعشرين يومًا بحيث يُرى الهلال وأنت قد صُمت ثمانيةً وعشرين يومًا فلا إشكال بعد يوم العيد تأتي بيومٍ والأمر فيه سعة ولا حرج فيه البتة ولا محظور فيه أبدًا، أما الحساب فليس هو من شريعة محمد -عليه الصَّلاة والسَّلام -.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "فَإِنَّا نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْعَمَلَ فِي رُؤْيَةِ هِلَالِ الصَّوْمِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ الْعِدَّةِ أَوْ الْإِيلَاءِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَحْكَامِ الْمُعَلَّقَةِ بِالْهِلَالِ بِخَبَرِ الْحَاسِبِ أَنَّهُ يُرَى أَوْ لَا يُرَى لَا يَجُوزُ، انظر فَإِنَّا نَعْلَمُ يقول–رحمه الله– في المجلد الخامس والعشرين صفحة مائة واثنين وثلاثين، خمسة وعشرين، مائة واثنين وثلاثين يقول: "فَإِنَّا نَعْلَمُ وانظر إلى من يحكي هذا الكلام أبو العباس ابن تيمية –رحمه الله–فَإِنَّا نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْعَمَلَ فِي رُؤْيَةِ هِلَالِ الصَّوْمِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ الْعِدَّةِ أَوْ الْإِيلَاءِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَحْكَامِ الْمُعَلَّقَةِ بِالْهِلَالِ-نعلم أن العمل- بِخَبَرِ الْحَاسِبِ أَنَّهُ يُرَى أَوْ لَا يُرَى لَا يَجُوزُ، وَالنُّصُوصُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنْ النَّبِيِّ-ﷺ- بِذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ– أنه لا يجوز –.

انظر هنا وهذا أمر مهم جدٌّ مهم خاصة كما قلت قبل قليل أنه صادر من شيخ الإسلام الذي شهد له بسعة الاطلاع ودقَّته في نقل مواطن الإجماع والخلاف يقول–: وَالنُّصُوصُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنْ النَّبِيِّ- ﷺ- بِذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ. وَلَا يُعْرَفُ فِيهِ خِلَافٌ قَدِيمٌ أَصْلًا، وَلَا خِلَافٌ حَدِيثٌ–يعني لا في المتقدمين ولا حتى فيمن يعني جاء بعده –إلَّا أَنَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ–يقول شيخ الإسلام– إلَّا أَنَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ الْمُتَفَقِّهَةِ الحادثين بَعْدَ الْمِائَةِ الثَّالِثَةِ زَعَمَ أَنَّهُ –انظر إلى دقة كلام شيخ الإسلام وإلى دقة نقله بصورة المسألة كذلك الحادثة– قال: زَعَمَ أَنَّهُ إذَا غُمَّ الْهِلَالُ جَازَ لِلْحَاسِبِ أَنْ يَعْمَلَ فِي حَقِّ نَفْسِهِ بِالْحِسَابِ – يعني بعض المتأخرين بعد المائة الثالثة يقول عند وجود ما يعني يغم به جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب– فَإِنْ كَانَ الْحِسَابُ دَلَّ عَلَى الرُّؤْيَةِ صَامَ وَإِلَّا فَلَا–يعمل به في نفسه لا يحمل الأمة عليه طيب انظر

- وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ كَانَ مُقَيَّدًا بِالْإِغْمَامِ-يعني في حالة الإغمام فقط- وَمُخْتَصًّا بِالْحَاسِبِ فَهُوَ شَاذٌّ مَسْبُوقٌ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى خِلَافِهِ"

أما اليوم يعني لا يوجد من يقول بهذا القول الذي يدعو إليه بعض الناس ألا وهو أنا نعمل بالحساب مطلقًا سواء في حال الغيم أو في غير حال الغيم.

انظر الخلاف الحادث الذي وجد بعد القرون المفضلة جاء به بعض المتفقِّهة متى؟

عند حدوث الغيم، والحاسب يعمل به في خاصة نفسه يقول شيخ الإسلام: "وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ كَانَ مُقَيَّدًا بِالْإِغْمَامِ-يعني في حالة الإغمام فقط-وَمُخْتَصًّا بِالْحَاسِبِ فَهُوَ شَاذٌّ مَسْبُوقٌ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى خِلَافِهِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ ذَلِكَ فِي الصَّحْوِ أَوْ تَعْلِيقُ عُمُومِ الحُكْمِ العَام بِهِ فَمَا قَالَهُ مُسْلِمٌ".
يعني من أهل تلكم القرون التي يشير إليها شيخ الإسلام سواء من المتقدمين أو المتأخرين.

يجب الصوم على كل مسلم، بالغ، عاقل، صحيح، مقيم، وأن تكون المرأة طاهرة.

أما الإسلام فهذا أمر واضح ظاهر بيِّن لا إشكال فيه، وإن كان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة على الصحيح من أقوال أهل العلم، لكنهم لو فعلوا وصاموا لا يُقبل منهم؛ لأنهم لم يأتوا بما يصحِّح هذه العبادة، وبما تقبل به هذه العبادة ألا وهو الإسلام ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ الفرقان: ٢٣

وأما البلوغ والعقل فقد دل عليه حديث «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاث: وفيه عَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ».

وأما الصحيح المقيم، الصحيح ضد المريض، والمقيم ضد المسافر، فلأن لهما الرخصة كما مر علينا في قوله-تعالى-: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: ١٨٤، والمرأة الحائض والنفساء لا يجب عليهما الصوم بإجماع أهل العلم، إلا أنهما يقضيان الصوم ولا يقضيان الصلاة.

وحديث عائشة -رضي الله عنها-في الصحيح مشهور لما جاءتها إحدى النساء تسألها: «مَا بَالُ إِحْدَانَا تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلا تَقْضِي الصَّلاةَ؟-ماذا قالت لها؟- أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ ؟».

إشارة إلى مذهب الخوارج الذين غلوا في دين الله-جلَّ وعلا-، هذا من رحمة الله-تبارك وتعالى-.

لما أمر المرأة بقضاء الصِّيام الذي لا يمر عليها في العام إلا مرة واحدة شهر رمضان وتفطر في أيام قلائل ومعها بقية العام للقضاء، أما الصلوات الخمس في اليوم والليلة لو أُلزمت بالقضاء لكان هذا الأمر في حقِّها شديدًا.

وبعض النساء في الحيض يصل بها الأمر إلى خمسة عشر يومًا وهي حائض، والنفاس تبلغ الأربعين، وانظر في كل يوم وليلة خمس صلوات، يكون هذا الأمر في حقها مشقة وعنت.

ولأجل هذا خفف رب العزة عنهم القضاء فأمرهم بقضاء الصيام ولم يأمرهم بقضاء الصلاة.

إذاً يجب على كل مسلم بالغ صحيح مقيم، والمرأة لا تكون حائضًا ولا نفساء.

الصحيح ضد المريض والمريض ممن رُخص له الفطر، والعلماء يقولون المرض نوعان:

- مرض: يُرجى زواله وبُرؤه.
- ومرض: لا يُرجى زواله ولا بُرؤه.

فأما الذي يرجى زواله وبرؤه فإنه يفطر في رمضان ثم يقضي بعد ذلك أيامًا أُخر، وأما الذي لا يُرجى برؤه ولا زواله فله حالتان:

- إما أن يكون عقله موجودًا فهذا يجب عليه الإطعام عن كل يوم، يطعم عن كل يوم مسكينًا.
- أما إذا كان عقله غير موجود فهذا غير مخاطبٍ أصلًا بالصِّيام،

أما قلنا في شروط الصِّيام أن يكون مسلمًا بالغًا عاقلًا، فمن كان عقله غير موجود سواءً كان مريضًا أو غير مريض فهذا غير مخاطب بالصِّيام، فلا إطعام عليه ولا شيء يلحقه.

أيُّهما أفضل في حق المسافر، الفِطر أم الصِّيام؟

اختلفت أقوال أهل العلم بناءً على الأدلة الواردة في هذا الباب، والذي يظهر والعلم عند الله أن الأفضلية متعلِّقة باليُسر وعدم المشقة بالنسبة للمكلَّف، فأيسرهما أفضلهما، وعلى كل صورة تنزل الأحاديث الواردة في الباب، «لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ» يحمل هذا على من

كان فيه مشقَّة عليه، والنصوص الواردة على صيام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في السفر وصيام بعض أصحابه تُحمل على من كان الأمر بالنسبة له لا مشقة فيه، فأفضلهما أيسرهما، لأنه إن كان الأمر يسيرًا بالنسبة لك تستطيع أن تصوم مع أنه يرخَّص لك الفطر لكن تستطيع أن تصوم، والأمر متيسِّر ولا إشكال معك في هذا الباب فالأفضل هو الصِّيام أولًا لأن به تبرأ الذمة.

ثانيًا تصومه في الزمن الفاضل وفي الوقت الفاضل.

الصوم لا بد فيه من أمرين اثنين:

الأمر الأول: النية ـ أعني صيام شهر رمضان ـ لعموم الأدلة الدالة على وجوب النية وأنها شرط الصحة، وهذه النية تكون قبل دخول وقت فرض الصوم لعموم قوله-عليه الصلاة والسلام-: «لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُجْمِعْ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ»، ونحن نتكلم عن صيام الفرض، صيام شهر رمضان، لكن مما يذكر هنا أن المرء لا يتوغَّل في هذا الباب، حتى لا يلبس عليه الشيطان ويدخله في مداخل لا يستطيع أن يخرج منها، حتى يوقعه في الوسواس، إذا ما علمت يا عبد الله أن الشهر قد دخل ما الذي انعقد في قلبك؟ صيام الشهر أليس كذلك؟

نعم قد يكون هذا في غير شهر رمضان إذا كان صيام قضاءٍ ونحو ذلك من الفرائض لا بد من أن تنوي في الليل قبل الصِّيام وتحرص على هذا، لكن لما يأتي شهر رمضان الجميع قد انعقد في قلوبهم ممن يعظمون الملة، ويعظمون هذه الشريعة من أهل الإسلام صيامهم في هذا

الشهر فيكفيه هذا عن تبييت النية في كل ليلة ما لم تنقطع،إذا انقطعت كأن تسافر وتنوي الفطر يومين، ثلاثة أيام، أربعة أيام، خمسة أيام، نعم تنبه هنا بعد ذلك عند مجيئك إلى أن تعقد النية وأن تقوم بعقدها في قلبك من الليل.

الأمر الثاني: أن تمسك عن جميع المفطِّرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس لقوله-جلَّ وعلا -:﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ البقرة: ١٨٧

المفطِّرات مرت معنا أن أصولها ثلاثة: الأكل والشرب والجماع، هذا من حيث الإجمال، **ومن حيث التفصيل:** الأكل والشرب لمن لم يكن ناسيًا فالناسي قد صح فيه الخبر في الصحيحين أن الله-جل وعلا-أطعمه وسقاه، فالصائم إن كان صائمًا ثم نسي فأكل أو شرب فلا غضاضة عليه في هذا فليتمَّ صومه ولا حرج عليه في هذا، جاء الخبر إنما أطعمه الله وسقاه هذا في الأكل والشرب عمدًا.

الذي بعده ما ذكره ربنا-جلَّ وعلا -: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ البقرة: ١٨٧

دلَّ على أن هذا الأمر في نهار رمضان محظورٌ، والمراد به حقيقته مما هو معروفٌ عند أهله.

أما غير ذلك من القُبلة ونحو ذلك فهذا لا يدخل في هذا الباب فقد كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقبِّل نساءه وهو صائم كان يقبل الواحدة منهن عند خروجه إلى الصلاة وهو صائم بل كان يفعل غير ذلك كما تقول عائشة -رضي الله عنها -.

الذي بعده من المفطِّرات: القيء عمدًا القيء نوعان أو للقيء صورتان:

- الصورة الأولى: أن يكون عمدًا،
- والأخرى: ألا يكون الإنسان في هذا الفعل متعمدًا وإنما يغلبه هذا الأمر.

أما الصورة الثانية فلا فطر فيها، وأما الأولى القيء عمدًا ففيها الفطر وقد حكى ابن المنذر إجماع أهل العلم في هذا. قال- عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ» رواه الترمذي.

وكل ما مضى جرينا فيه على المختار أننا لا نذكر حديثًا إلا أن يكون ثابتًا عن النبي-عليه الصلاة والسلام -.

كذلك من المفطِّرات: الحيض والنفاس، فإذا حاضت المرأة ولو قبل غروب الشمس بلحظات، أو نفست ولو قبل غروب الشمس بلحظات؛ فإنها تفطر بهذا ويلزمها بعد ذلك احتساب هذا اليوم من جملة الأيام التي عليها.

كذلك مما يذكره أهل العلم في هذا الباب وخاصة الحنابلة وهو مذهبهم، واختاره جمعٌ من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: الحجامة، نعم هناك أحاديث في الباب يتمسك بها الجمهور القائلون بعدم الفطر، والفريق الآخر يتمسكون بحديث «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»

وأنا الذي تميل إليه نفسي أن المرء لا يحتجم في نهار رمضان ولو فعل يقضي هذا اليوم خروجًا من خلاف أهل العلم، المسألة قوية، أعني الخلاف فيها، وقويٌ جدًا، وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– في رسالته «حقيقة الصِّيام» أفاض الكلام حول هذه المسألة ونصر القول بأنه يفطر، نصر فيها مذهب الحنابلة والحديث فيها صريح وهو نص «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ» نعم هناك تخاريج لجمع من أهل العلم لهذا الحديث، لكن في مثل هذه المسائل يستحب الخروج من الخلاف، فإن القاعدة المتقررة عند أهل العلم **"أن الخروج من الخلاف مستحب ما لم يؤدي إلى تعطيل سنة أويدخل في خلافٍ آخر"** هذا مما جاءت به الأدلة على أن المرء يفطر بهذا.

مما يُذكر هنا أمور تباح للصائم ولم يأت الدليل على أنها من المحظورات والأصل هو الحِل وعدم المنع، ولا نقول بالتفطير إلا بنصٍ شرعي ثابتٍ في الوحي.

مما يباح للصائم: المضمضة والاستنشاق دون مبالغة، لحديث لقيط–رضي الله عنه–عند أصحاب السنن قال: قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: «وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا» المضمضة والاستنشاق دون مبالغة، بدلالة هذا الحديث.

كذلك مما يباح للصائم مما مضى معنا للرَّجل مع أهل بيته: القبلة والمباشرة لمن قدر على ضبط نفسه ويدل لهذا ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة-رضي الله عنها-قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ»، ثم قالت: «وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ».

كذلك مما يباح للصائم الغُسل والتّبرد يعني إما أن يغتسل أو بما كان يفعله بعضهم من وضع شيء من الماء في بعض يعني ما هو شبيه بالأقمشة من الخيش ونحوه ويضعه على جسمه أو يعني نحو هذه الأعمال التي كانت معروفة، هذا كله مما يُباح للصائم.

نعم الحمد لله نحن هنا في مثل هذه المدن والبلدان أكرمنا الله – جلّ وعلا-بهذه التَّقنيات وهذه الأجهزة التي تُبرّد عن طريق هذه المعدات.

جاء عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-عند أبي داود في السنن قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْعَرْجِ» يقول: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِالْعَرْجِ» منطقة قبل المدينة، يقول هنا رأيته «بِالْعَرْجِ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ الْعَطَشِ، أَوْ قَالَ مِنَ الْحَرِّ»

كذلك مما يُباح للصائم: السِّواك والطِّيب والكحل والدِّهان والقطرة والحقنة، سواءً كانت القطرة في الأنف أو في العين، كل هذا مما لم يرد الحديث الصحيح ومما لم يأتِ فيه النص الشرعي على أنه من المفطِّرات، والأصلُ الإباحة.

كذلك مما يُباح للصائم: أن يصبح الصائم جُنبًا، فقد جاء في الصحيحين أن النبي-عليه الصلاة والسلام-: «كَانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ فَيَصُومُ» وما نُقل عن بعض أصحابه كأبي هريرة – رضي الله عنه-ثبت عنه أنه قد تراجع عن هذا، ثبت عنه – رضي الله عنه-أنه قد تراجع عن القول بفطر من أصبح جُنبًا، ودلالة أو ما جاء في سُنة النبي – صلى الله عليه وسلم-فإنه قاضٍ على كل قول وعلى كل رأي.

مما يُباح للصائم: الوصال إلى السَّحر، فقد جاء في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: «أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ: لَا تُوَاصِلُوا فَأَيُّكُمْ يُرِيدُ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحَرِ، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِ» وهذا من خصائصه -صلوات الله وسلامه عليه-.

من آداب الصِّيام:

أولًا: أكلة السَّحر، وهذه الأكلة قد أخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيح أنها بركة، والبركة كثرة الخير، قال-عليه الصلاة والسلام-: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»

ومن تسحَّر في الوقت الذي جاء في الهدي النبوي والله يعرف هذه البركة وهو في أشد أيام الصيف، لّما يكون النهار طويلًا والحر شديدًا، يجد بركة هذا السَّحور لّما يوقعه في الوقت المرغّب فيه يجد بركته في طيلة النهار، وهذا خبرٌ منه-عليه الصلاة والسلام-: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»

وهذا السَّحور يتحقق ولو بجرعة ماء، هذا السَّحور المبارك الذي يكون قبيل الأذان يتحقق ولو بجرعة ماء، جاء عنه – عليه الصلاة والسلام- عند ابن حبان وغيره قال: «تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجَرْعَةِ مَاءٍ»

جاء عنه – عليه الصلاة والسلام-عند ابن حبان وغيره قال: « تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجَرْعَةِ مَاءٍ» ويستحب تأخيره فقد جاء عن أنس-رضي الله عنه-عن زيد بن ثابت-رضي الله عنه – قال : «تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ قُلْتُ كَمْ كَانَ قَدْرُ ذَلِكَ قَالَ قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً» متفق عليه،

وإذا سمع الأذان وطعامه أو شرابه بيده فله أن يأكل وأن يقضي نهمته من هذا الطعام وهذا الشراب، لكن متى؟ إذا أذن المؤذن والإناء في يد الواحد منا، قال -عليه الصَّلاة والسَّلام -: «إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ النِّدَاءَ وَالْإِنَاءُ عَلَى يَدِهِ فَلَا يَضَعْهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهُ».

كذلك من الآداب التي تتأكد في حق الصائم، لدلالة النص الشرعي فيها أن يترك اللغو، وأن يترك الرَّفث، وأن يبتعد عن كل ما ينافي الصِّيام، وإقباله على الله -جلَّ وعلا -.

جاء في الصحيح قوله -عليه الصَّلاة والسَّلام -في حديث أبي هريرة: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ بِأَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ» أي القول الباطل والعمل الباطل الذي لا فائدة فيه بل فيه إثمٌ، يقول النبي -عليه الصَّلاة والسَّلام -: «فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ بِأَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» الله

غنيٌ عنك يا عبد الله، ولأجل هذا جاء في الحديث الآخر حديث أبي هريرة -رضي الله عنه -: «وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ» إياك أن تفعل أفعال أهل الجاهلية.

انظر كأن قائل يقول: طيب إن شاتمني أحد؟ إن خاصمني أحد؟ إن اعترضني أحد؟ قال النبي-عليه الصَّلاة والسَّلام-: «وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ».

ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يمد بها صوته حتى يعلم هذا الذي في مقابله، وذهب آخرون إلى أنه يوجه الخطاب لنفسه تذكيرًا لها بتلبسها بهذه العبادة العظيمة، وذهب بعضهم إلى التفريق:

الأولى: يخافت بها ويخاطب بها نفسه، والأخرى يخاطب بها من أمامه.

كذلك من الآداب الواردة في هذا الباب في حق الصائم خاصة: الجود، فقد جاء، الجود ومدارسة القرآن، فقد جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»

انظر إلى حال النبي - صلى الله عليه وسلم - في رمضان كان أجود بالخير، والخير كلمة عامة فيحرص المرء على الجود بكل ما يستطيع من أبواب الخير، يبذل قدر استطاعته ويعود أهل

بيته من زوجه وولده على الجود والبذل في رمضان بالخير على قدر استطاعته ولو كان شيئًا يسيرًا.

وقد تتابع من عشنا في أكنافهم-رحم الله من مات منهم وحفظ الأحياء -أنه إذا دخل رمضان كانوا يقصون هذا الشهر بمزيد خصيصة ألا وهي الحرص على تفطير الصائمين والمساعدة في هذا الباب من صنع أيديهم ومن عمل بيوتهم، حرصًا على الخير ورغبة في الأجر والثواب، ليحرص المرء بقدر استطاعته على أن ينال هذا الفضل الذي كان نبينا-عليه الصَّلاة والسَّلام – المقدَّم في هذا.

كذلك مدارسة القرآن، انظر هنا إلى حال النبي– عليه الصَّلاة والسَّلام – ومجيء جبريل ونزوله إليه في رمضان يدارسه القرآن متى؟ انظر في النهار أم في الليل؟

في الليل، خلاف لما عليه الناس اليوم للأسف الشديد منذ أن يفطر وإذ به يقبل على هذه التي ألهت أهل الإسلام وأشغلتهم عن طاعة ربهم وعن التقرب إلى بارئهم، ومع الأسف أصبحوا يتسابقون في تخصيص ليالي هذا الشهر المبارك بأشياء خاصة من مسلسلات ونحو ذلك.

فالعاقل الذي يرجو النجاة لنفسه لا ينشغل بمثل هذه الأمور التي أقل ما يقال إنها لا تزيد في صحيفة حسناته، كيف والأمر أشد من هذا؟! والعياذ بالله.

فاحرص يا عبد الله على اغتنام الأيام والليالي، احرص على أن تصرف ساعاتك كلها في مرضاة الله – جلَّ وعلا –.

ومع الأسف في هذه السنة جاءنا شيء آخر انشغل به العالم كله مع الأسف الشديد، عقولهم كلها تدور وتنظر في جلدة، يتسابق الواحد يمنة ويسرة ويأتي من الأمام ومن الخلف خلف هذه الجلدة، ما أسخف هذه العقول! ما أسخف هذه العقول!

فأنت يا عاقل اعرف نعمة الله–جلَّ وعلا–عليك وأشغل نفسك بهذا الذي يقربك إلى الله بكلام رب العالمين.

النبي – عليه الصَّلاة والسَّلام – ينزل عليه جبريل كل ليلة، ليس يوم ويوم، ينزل عليه جبريل ويدارسه القرآن، يعرض عليه القرآن من أوله إلى آخره، وفي السنة الأخيرة في آخر رمضان، عرض عليه القرآن مرتين، وأخذ العلماء من هذا مشروعية ختم القرآن في رمضان ومرة ومرتين وثلاث، وقد أدركنا والله أناسًا من الصالحين وأدركنا جمع من أهل العلم يختمون القرآن في رمضان عدة ختمات ويقرأ الواحد منهم القراءة المتأنية التي يتدبر فيها كلام ربه – جلَّ وعلا – لأنه من المحظور أن تهذَّ القرآن هذ الشعر أو أن تنثره نثر الدقل كما قال ابن مسعود: **"لا تنْثُروهُ نثرَ الدقل، ولاتهذوهُ هذَّ الشِّعر، وقِفوا عندَ عجائِبه، وحرِّكوا بِه القُلوب"**، كلامُ ربِّ العالَمين، كلامُ ربِّنا – جلَّ وعلا – تَقرؤهُ غضًّا طرِيًّا.

كذلِك من الآداب في الصِّيام: تَعجيل الفِطر، ولا يَعني لما نقول أنَّه في اللَّيل يَكون مُدارَسة القُرآن فعلُ النبي كانت في اللَّيل أن نهارَك ما تُشغِله بِقراءةِ القُّرآن، كلَّا، إنَّما أردتُ التَّنبيه على من يَعكِس الأمر، يَحرِص على قِراءة القُرآن في النَّهار وإذا ما أفطَر هامَ على وجْهِه أمامَ هذِه المغْريات وهذِه الفِتن، سواءً التي يعني يُشاهِدها في محل إقامتِه، أو يَخرُج إلى الأماكِن التي هي أبْغَض بِقاع الله–جلَّ وعلا–دونَ حاجة، وإنَّما المرءُ يَحرِصُ على أن يَقْضي أيامَهُ كلَّها رمضان وغيرَ رمضان في طاعَة الله – جلَّ وعلا – وفي ذكْرِه، ومن أعظم الذكر كلامُ ربِّنا – جلَّ وعلا –.

من الآداب: تَعجيلُ الفطر، جاء عنهُ – عليه الصَّلاة والسَّلام – في الصَّحيحين من حديث سَعد بن سَهل – رضي الله عنه – أنهُ قال : «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ»

جاءَ في الحديث الآخر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبر: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومَ» كما تَفعَلُه اليهود وتَبعَتْهُم في هذا الرَّافِضة، لا يفْطرون إلَّا عندَ تَشابُك النُّجوم،

أمَّا نحنُ الذين اهْتدينا بهدي النَّبي–صلى الله عليه وسلم–فإنَّنا نُفطِر عندَ سُقوطِ قرصِ الشَّمس. قال النَّبي– صلى الله عليه وسلم –: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا وَغَرَبَتْ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» فمُنذ أن يَغيب قرصُ الشَّمس وَجَب الفِطر.

ويُفطِر المرء إن تيسَّر لهُ على رُطبات كما كان النَّبي – عليه الصَّلاة والسَّلام – يَفعلُ، يفطِر على رُطبات قبلَ أن يُصلي، فإن لم يَكُن ثَّمة رطب فعلى تمراتٍ، فإن لم يكن ثَّمة تمر فعلى ماءٍ، ثَبتت في هذا السُّنة عن النَّبي–صلى الله عليه وسلم –.

وليتنبه المرء إلى أمرٍ ألا وهو لا يُشرع الفطر على تَمرات أو رُطباتٍ وِترًا، لعَدم الدَّليل الدَّال عليْه.

ولا نَقول هنا في هذا الباب بعموم قولِه–عليه الصَّلاة والسَّلام –: «إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ» وسبب هذا أن هذا لم يُنقل عن النَّبي–عليه الصَّلاة والسَّلام–والاستِدلال بهذا العُموم خاصة في هذا الموطِن محلُ إشكال؛ لأنه–صلى الله عليه وسلم–في يومِ العيد، عيدِ الفِطر، كان يأكُل تمراتٍ وتْرًا قبلَ ذهابِه إلى المصلى بعد صلاةِ الفجر.

تأمل، نقل الصَّحابة الكِرام –رِضوانُ الله عليهم–حاله كله، نقلوا هديه كله، حتى الذي يَفعلُه المرة طيلَة العام، ما بالُك بثلاثين يومًا أو تسعة وعشرين يومًا ولم يُنقل في حديث صحيح أنَّه كان يأكلُهُّن وترًا؟ فتعمُّدُ هذا والاستدلال بهذا العموم في هذا المقام في ظنِّي ليسَ في مِحله.

ومما جاءَ ونَختِم به آداب الصِّيام عند الفطر يُستحبُّ لهُ أن يدعُوَ بما ثبت عن النبي– صلى الله عليه وسلم – لَّما قال عند فطره: «ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ»، أخرجهُ أبو داود.

كذلك من الآداب قبل أن نختم هذه الآداب، بل نختم هذه المحاضرة، مع أنَّ هناك مبحث مُتعلِّق بالاعتكاف، لكن الوقت قد طال بنا، أقول مما يحرصُ عليه المرءُ في شهر رمضان الدُّعاء، هذا الباب العظيم، الذي هو سلاح الموحِّدين، وقرة عيون المُتَّقين، والدعاءُ لهُ مع الصِّيام صلةٌ عجيبة، ولو تأمَّلت آيات الصِّيام في سورة البقرة، ومجيء آية الدعاء في ثنايا هذه الآيات عرفتَ ارتباط الدعاء بالصِّيام، تأمَّل ربنا–جلَّ وعلا– في آيات الصِّيام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[البقرة: ١٨٣]، الآيةُ الأولى، ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾[البقرة: ١٨٤]، الآيةُ الثانية، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[البقرة: ١٨٥]، الآية الثَّالثة، ثُمَّ قولهُ – جلَّ وعلا –: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة: ١٨٦]، ثمَّ جاء بعدها ماذا؟، ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾[البقرة: ١٨٧]

انظر إلى عظيم الصلة بين الدعاء وبين الصِّيام، جاءت هذه الآية في ثنايا آيات الصِّيام، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة: ١٨٦]، توحيد، إذا دعوت ربَّك –جلَّ وعلا – يجيب دعاءك، وأمَّا إذا دعوتَ غيره، فقد وقعتَ في الشِّرك والعياذُ بالله ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة: ١٨٦].

وللصَّائم دعوة لا تُردُّ، كما جاء عند البيهقي في الشُّعب: «ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ لاَ تُرَدُّ»، من حديث أبي هريرة، ومنها: «وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ»، ليس فقط عند فطره، بل منذُ أن تُمسِك عن جميع المفطِّرات، منذُ طلوع الفجر الصَّادق، وحتى غروب الشَّمس، لك دعوة لا تُردُّ يا عبد الله، فاغتنم هذا الخير، اغتنم هذا الفضل، اغتنم هذه النِّعمة، انطرح بين يدي الله – جلَّ وعلا –،

أظهر الفاقة، أظهر الحاجة، أظهر الذُّل للربِّ – جلَّ وعلا –، انكسر، تذلَّلْ، اسأل ربَّك – جلَّ وعلا – من خيري الدنيا والآخرة،

الصَّحابةُ الكرام كانوا يسألون ربَّهم حتى الملح للطعام، فاسأل ربك – جلَّ وعلا–، اسأل ربَّك – تبارك وتعالى – من خيري الدنيا والآخرة، واغتنم ساعات الإجابة التي تتخلَّل هذه الأوقات، كالدعاء بين الأذان والإقامة، وفي آخر ساعةٍ من يوم الجمعة، وعند سجودك يا عبد الله، وبعد صلاة الفريضة، بعد أن تأتي بالذِّكر الوارد، لا تحرمنَّ نفسك الأجر والثَّواب « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، واعلم أنَّك إذا أردت أن يستجيب الله لك عند الشَّدائد والكُرب، فلتتعرَّف على الله في حال الرَّخاء، ومن ذلك الدُّعاء،

وقد جاء فيه الخبر الصَّحيح، قال – عليه الصَّلاة والسَّلام –: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ».

« تَعَرَّفْ إلى اللهَ فِي الرَّخاءِ» في حديث ابنِ عبَّاس « يَعْرِفْكَ فِي الشِدَّةِ»، في هذا الحديث، عند التِّرمذي وغيره «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»، لا تحرِمنَّ نفسك هذه الأبواب العظيمة، وهذه الخيرات الكبيرة.

أسأل الله العظيم، بمنِّهِ وكرمه أن يُبلِّغني وإيَّاكم رمضان، وأن يُعينَني وإيَّاكم على ذكره، وشُكْرِه، وحُسنِ عبَادتِه، وأن يجعلنا جميعًا من الهُداة المُهتدين، غير ضالِّين ولا مُضلِّين، اللهم أبرِم لهذه الأمَّةِ أمْرًا رشدًا، يُعَزُّ فيه أهل الطَّاعة، ويُعافى فيه أهل المعصية، اللهم وأذِلَّ أهل الكفر

والشِّرك، وانصر عبادك المَوَحِّدين يا ربَّ العالمين، اللَّهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلح اللّهم أئمَّتنا وولاةَ أمورِنا،

اللّهم وفِّق ولي أمرنا لما تُحِبُّ وترْضاه، اللَّهم ارزقهُ البطانة الصَّالحة النَّاصحة، وجنِّبهُ بطانة السوء، اللَّهم أمِّن المسلمين في أوطانهم، اللهم أمِّن المسلمين في أوطانهم، اللّهم أمِّن المسلمين في أوطانهم، وأصلح ولاة أمورهم لتحكيم شرعك، والعمل بكتابك وبسنة نبيك – عليه الصَّلاة والسَّلام –،

كما نسألك يا الله، أن تجعل ولايتهم فيمن يخافكَ ويتَّقيك، يا ربَّ العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.